



إلى أبي الحبيب

الذي تعلمت منه الكثير

فقد كنت كريم الطباع .. جميل الأخلاق .. محبوباً من الجميع
أهديتني من قبل حباً وحناناً ... وأهديك الآن بضعاً من الكلمات
فما أقل ما أهديك في بحر ما أهديتني .

لا أملك إلا أن أدعو الله .. أن يرزقك الفردوس الأعلى من الجنة
ومرافقة النبي ﷺ .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله عدد خلقه في السماوات وعدد خلقه في الأرض وما بينهما، وعدد خلقه مما نعلم ومما لا نعلم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، سبحانه لم يخلقنا عبثاً حاشاه ، ولم يخلقنا ويذرننا كما زعم بعض من ضل الطريق ، ولكنه هدانا هدىً من بعد هدىً من بعد هدىً فمن تعلق بأيمها هدىً فقد نجا .

أما بعد ...

لقد شغلني زمن ليس بالقصير التفكير والتأمل في ما آل إليه حال بلادنا من فوضى وتخبط وتراجع واضمحلال ، مازلنا نسير بسرعة السلحفاة بينما هناك من سبقنا بمئات الأميال بل قل بمئات السنين، وكأننا نعيش في كوكب بينما يعيش الآخرون في كوكب آخر أو في زمن آخر ، الكل يهرول من حولنا ونحن نتعثر في خطواتنا، العالم ينظر إلى المستقبل ونحن مازلنا نعيش في الماضي ، مضت علينا أزماناً ونحن نهيم على وجوهنا نتكفى في حفرة تلو الأخرى ... ولذا مشكلة دين الآن :

متى تقوم لنا قائمة ؟

متى نلحق بقطار التقدم ؟

إلى متى سنظل في ذيل الأمم ؟

ما السبب وراء هذا التدهور والتراجع ؟ وأين هي المشكلة ؟

أهي مشكلة عقول أم مشكلة أموال أم إمكانيات أم هي نظرية المؤامرة أم قد تكون مشكلة دين أو تدين ؟

تلك هي القضية التي نناقشها.

ألا وهي البحث عن السبب الرئيسي الذي أدى إلى هذا التدهور، والحلول التي بها نعود إلى مصاف الدول المتقدمة ونرقى مرةً أخرى لأن نكون أمة يشار إليها بالبنان.

وقد كان نتاج هذا البحث والتأمل في هذا الأمر وجود عاملاً مشتركاً بين الحضارات يمثل قضية خطيرة والتي تتمثل خطورتها في تشكيلها الأساسي لشخصية الإنسان ورسم ملامح المجتمع، وكيف أنها الدعامة الرئيسية في رفع قيمة أمة والخط من قيمة أخرى، ولطالما كانت لدي قناعة بفكرة أن هذه القضية هي بداية الطريق الذي يصنع حضارة ، ويرتقي بأمة نحو الصدارة ، وأن مقياس التحضر والرقي لمجتمع ما هو إلا بمقدار ما يملكه من هذه القيمة ، ألا

وهي .. الأخلاق

ولذا فقد عكفت في هذا الكتاب على إثبات أن الأخلاق هي البداية الحقيقية لكي نهض بأمتنا من جديد ، وأن خطورة إهمال هذا الجانب ليس له نتاج إلا التردّي من كبوة إلى كبوة والانزلاق من حفرة إلى حفرة .

وبالرغم من خوض بلادنا لغمار سياسية ملتعبة كثيرة ، إلا أن

الجرح الأعظم مازال يؤلم بل مازال ينزف ولم يستطع أن يصل إليه مشرط الجراح بعد .

وإن كان هناك الكثير ممن هم أفضل مني ممن خاضوا في هذا المجال ، وقد تحدثوا في هذا الموضوع واستفاضوا فيه ، إلا أنني أحببت عرض هذا الموضوع من منظور آخر جديد أسلط فيه الضوء أكثر على أهميته وأبرزه في الإطار الذي يستحقه ، حيث أنه ليس مجرد موضوع جانبي نتحدث عنه على هامش آلاف المواضيع ، ولكنه الخطر الأكبر الذي يهددنا ونغرق فيه دون أن نشعر ، وهو سبب تقهقرنا وتراجعنا مئات السنين عمن سبقونا .

والسبب أن جل اهتماماتنا الآن منصبة على أعراض المرض ، بينما جذور المرض مازالت مستقرة في الجسد الآخذ في التآكل بسبب تمكن المرض منه بل واستفحاله أيضاً بصورة بشعة تنذر بالهلاك، فلم تعد تنفع معه المسكنات ولا العلاجات بسبب التشخيص الخاطئ لمرض الأمة ، ألا وهو **فساد الأخلاق** .

وهذا الكتاب يناقش قضية الأخلاق من محاور عدة وهي:

- < أهمية الأخلاق وخطورة غيابها على الفرد والمجتمع.
- < كيف أن الأخلاق تُبنى بها حضارات وتُهدم بها حضارات .
- < ماهية الأخلاق وكيفية التعامل معها بحكمة حتى تعتدل كفتي الميزان حيث طبيعتها النسبية.
- < كيف استطاع الإسلام أن يخلق هذا التوازن الخلقي على المستوى الفردي والمجتمعي.

< كيفية تعلم الأخلاق واكتسابها بالوسائل العلمية والروحانية.

إن هذا الكتاب لا يناقش قضية الأخلاق من الناحية المجردة أو الناحية العقلية فقط ، ولكنه يقلب هذه الأخلاقيات من أوجه كثيرة، فتارةً ينظر إليها من زاوية فلسفية ، وتارةً ينظر إليها من زاوية نفسية ، وتارةً من زاوية طبية وعلمية ، وتارةً من زاوية روحانية ، وتارةً من زاوية تنموية وتربوية وذلك من خلال التنوع بين استخدام الأسلوب الأدبي والعلمي حتى لا يتسلل الملل إلى نفس القارئ من جهة، ومن جهة أخرى محاولة الوصول بالقارئ للاقتناع التام بقيمة وأهمية الأخلاق المفقودة ثم ربط ذلك كله بتعاليم الدين ووصاياه، وكيف أن الحقائق والتجارب والأبحاث العلمية أكدت ما جاء به القرآن والسنة ، وأن ما جرى على لسان سيد البشر في كلمات مبسطة وموجزة وحكيمة من آلاف السنين هو نفسه ما أكدته العلماء في عصرنا الحالي.

فيكون للمؤمن زاداً ويقيناً ، ولغير المؤمن شعاعاً من نور يضيئ له الطريق علّه يكون له هدىً ونوراً. فما كان في هذا الكتاب من صواب فهو فضلٌ ومنّة من الله ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان .

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

تمهيد..

لقد أصبحنا الآن في عصر كثرت فيه الفتن، وكثرت فيه وسائل نشر الفتن، فلم تعد الفتنة قابضة في مكانها، بل أصبحت تنتشر بسرعة البرق، وتلتهم كل من يقف في طريقها كممثل النار تأكل في الهشيم، فذلة لسان تصبح سيفاً على رقبة صاحبها، وعرض إنسان يصبح من الهوان بمكان حيث ينتهك وينهش حتى وإن كان بريئاً، ووسيلة اتصال كالإنترنت تصبح صندوق قمامة يلقي فيه كل من يريد ما تشمئز منه الفطرة السليمة من سباب وغيبة وغميمة وكذب وافتراء وقنوات فضائية وما تبثه من سموم وانعدام للأخلاق، وانعدام للمسئولية، والإباحية السافرة في كل شيء، من إثارة للغرائز بالفحش والعري إلى بذاءة اللسان والإباحية في الحوار ولهث البرامج التلفزيونية وراء الإثارة حتى ولو على حساب العفة والفضيلة، لقد أضحت وكأنها خطة محكمة ومنظمة لتدمير الأخلاقيات والقيم، بل واستبدالها بقيم أخرى شيطانية.

الفساد والظلم يعم كل مؤسسة وكل وظيفة، ولن تستطيع ثورة إصلاح ما فسد، ولا إعمار ما هُدم، إلا إذا ثرنا نحن على أنفسنا أولاً، ثورة حق، ثورة فطرة، ثورة صدق، واقتلعنا الأخلاق الفاسدة من الجذور وأبدلناها بالحب والعطاء والإيثار، والرجوع إلى قيمنا وأخلاقنا الأصيلة مرة أخرى.

لن نهض إلا بعودة القيم والأخلاق التي تاهت عنا وتهنا عنها نحن المسلمون، لن ننجح في حياتنا إلا بالأخلاق، ولن نسود الأمم ونتقدمها إلا بالأخلاق، ولن يعود الإسلام قوياً إلا بالأخلاق، ولن ننشر ديننا إلا بالأخلاق، ولن نبني بلدنا إلا بالأخلاق ...

<< ابدأ بنفسك

شعار لابد أن نرفعه ونبدأ به أولى خطواتنا نحو التغيير.

أتذكر حين كنت أسير في الطريق ذات مرة أنا وأمي وقد كنت صغيرة آنذاك وقد ساءني سوء المنظر من القمامة والقاذورات الملقاة في كل مكان، فقلت لأمي: أترين يا أمي هذا الإهمال وعدم النظافة فقالت لي كلمة ظلت عالقة في ذاكرتي حتى الآن، قالت: «ابدأ بنفسك أولاً، وسيقلدك الآخرون».

وبالفعل فإنه ليس بالاستياء والامتناع ستصلح الدنيا، ولكن بالعمل والإيجابية والخلق الحسن، ولذا .. فلنبداً بأنفسنا أولاً ...

وهذا معنى من معاني حديث ﷺ :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .مسلم

ووقوله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقْوِمُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ }.

أن تضئ شمعة خير من أن تلعن الظلام...
فكن أنت الشمعة التي تضئ الظلام.

أتى شابان إلى الخليفة عمر بن الخطاب وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه ..

قال عمر: ما هذا

قالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا قتل أبانا.

قال: أقتلت أباهم ؟

قال: نعم قتلته !

قال : كيف قتلته ؟

قال : دخل بجملته في أرضي ، فزجرته ، فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً ، وقع على رأسه فمات...

قال عمر: القصص ...

قال الرجل : يا أمير المؤمنين : أسألك بالذي قامت به السماوات والأرض أن تتركني ليلة ، لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية ، فأخبرهم بأنك سوف تقتلني، ثم أعود إليك ، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا .

قال عمر: من يكفلك أن تذهب إلى البادية، ثم تعود إليّ؟

فسكت الناس جميعاً ، ونكس عمر رأسه، والتفت إلى الشابين : أتعفوان عنه ؟

قالا : لا ، من قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين..

قال عمر: من يكفل هذا أيها الناس !!؟

فقام أبو ذر الغفاري وقال: يا أمير المؤمنين ، أنا أكفله

قال عمر : هو قَتْل ، قال : ولو كان قاتلاً!

قال: أتعرفه ؟

قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟

قال: رأيت فيه سمات المؤمنين ، فعلمت أنه لا يكذب ، وسيأتي إن شاء الله.

قال عمر : يا أبا ذر ، أظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك!

قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين ...

فذهب الرجل ، وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ ، يهيئ فيها نفسه، ويودع أطفاله وأهله ، وينظر في أمرهم بعده ، ثم يأتي ، ليقصص منه لأنه قتل ...

وبعد ثلاث ليالٍ... وفي الميعاد المحدد وفي العصر نودى في المدينة : الصلاة جامعة

فجاء الشبابان ، واجتمع الناس ، وأتى أبو ذر وجلس أمام عمر

قال عمر: أين الرجل ؟

قال: ما أدري يا أمير المؤمنين!

وتلفت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمر سريعة على غير عاداتها ، وسكت الصحابة واجمين ، عليهم من التأثير ما لا يعلمه إلا الله. وفي مكان دون مكان... وقبل الغروب بلحظات ، وإذا بالرجل يأتي ، فكبر عمر، وكبر المسلمون معه ..

فقال عمر : أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ، ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك !!

قال: يا أمير المؤمنين ، والله ما عليّ منك ولكن عليّ من الذي يعلم السرّ وأخفى !! ها أنا يا أمير المؤمنين ، تركت أطفالي كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية ، وجئت لأقتل... وخشيت أن يقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس.

فسأل عمر بن الخطاب لأبو ذر لماذا ضمنته ؟

فقال أبو ذر : خشيت أن يقال لقد ذهب الخير من الناس .

فوقف عمر وقال للشابين : ماذا تريان؟

قالا وهما يبكيان : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه..
وقالوا نخشى أن يقال ذهب العفو من الناس!
قال عمر : الله أكبر ، ودموعه تسيل على لحيته .

obeikan.com